النهضة الصناعية في عهد محمد علي باشا

(١٨٠٥ـ١٨٤٨)

Industrial Renaissance in the era of Muhammad Ali Pasha (1848-1805)

ا.م. نبراس خليل ابراهيم

Assistant prof. Nibras Khalil Ibrahim

جامعة بغداد/ كلية التربية للبنات

النهضة الصناعية في عهد محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨)

ا.م. نبراس خليل ابراهيم

Conclusion

Conclusion Based on the Foregoing , and after our review of this research ,we reached a set of conclusions that represented the conclusion of the research and summarized it in the following:-

- the order of industrialization in the era of Muhammad in three stages ,represented the first stage for the years (1819-1818) and reaped the results of the monopoly that he started to maintain industrial production and its character. The craftsman dueto the craftsmen continuing their primitive professions .As for the second stage , which spanned the years (1818-1830) and was called the major industrial stage , in which the textile and reinforcing factories became famous , during which they monopolized the raw materials and constructed steam-based factories as a source of their energy ,while the third stage , which started in 1830 , was known as the collapse of the Egyptian economy Under the weight of foreign intervention , as the country opened its doors to foreign products and soon the ability of the local industry to cope with that competition .

Muhammad'sdesire to develop industry in Egypt was to supply the army and fleet with their need of weapons , equipment , clothes , ships , etc , and it was Realizes the shortage of the craft system to meet its new needs , so I seek to establish a modern industry that meets its needs , especially since the workforce is available in Egypt as well as the government's ability to finance major industrial projects from its profits in trade operations .As for other obstacles , it has done its utmost . To overcome it , and he was aware that his industrial establishments cost him a lot of different reasons , including those related to the lack of preparations to manage the industry in its modern face , including those related to the impossibility of taking the protections known to the nations working in the industry , because he is bound by the customs duties that were determined according to the international treaties . Held between the Ottoman Empire and the European countries , so he could not impose high shares on foreign imports to protect his products , and his interest in the industry opened the doors of Egypt during his reign and after him to relatively large numbers of European works and technicians.

The mismanagement of the factories , the lack of interest in maintenance work in them , the low level of technical adequacy of a number of workers , the poor condition of workers in them , and the lack of desire of European technicians to educate them to replace them , was the reason for the failure of the industrial renaissance.

that monopoly turned the nature of the relationship between the state and society upside down .The Ottoman era was the state with little interference in the lives of people , and under the monopoly system , Egyptian society turned into a life similar to the life of the soldier .

The objective conditions created by the monopoly of industrial were not in favor of the sects that crippled their movement throughout the era of Muhammad Ali on the other hand , the government did not have an incentive to increase production , since the various industries that were established in Egypt are dependent on the army , as needs of the people are limited , so when the number of the army was reduced according to the London Treaty , all of it decayed .

There is no doubt that Muhammad Aliaimed at this by means of the events of a comprehensive industrial coup , completing the economies of the country to give the Egyptian people a new craft in addition to the craft of agriculture , and the industry is one of the important angles on which the national economic construction was built , but after the failure of his development occurred in Egypt for many years , Egypt did not transform from an agricultural society into an industrial one .

المقدمة

تعد الصناعة احدى الركائز الاساسية لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كما انها اصبحت مؤشراً لقياس مدى التقدم الاقتصادي في اي بلد.وكان المجتمع المصري في مقدمة المجتمعات العربية التي شهدت حركة صناعية حديثة على غرار النظام الغربي على يد محمد علي باشا الذي شهد عهده ارساء قاعدة صناعية كبرى ، شملت صناعات مختلفة منها ، صناعة المنسوجات والسكر وعصر الزيوت ومضارب الارز ، كما ازدهرت الصناعات الحربية واقيمت ترسانة لصناعة السفن ، فأنشاء محمد علي باشا عدداً من المصانع الحديثة وجلبه عمال فنيين من جنسيات مختلفة استقرت في مصر اغلبهم من الاوربيين ،ادى ذلك الى ظهور حركة عمالية بعيدة عن نظام الحرف والطوائف والاصناف الموروثة من العهد العثماني ، ومن هذا المنطلق جاء اختيار موضوع (النهضة الصناعية في عهد محمد علي باشا ١٨٠٥-١٨٤٨) موضوعا للبحث والدراسة لتسليط الضوء على ابرز التحولات الاقتصادية الاجتماعية التي شهدها المجتمع المصري انذاك.

لقد تضمن البحث مقدمة وثلاث محاور وخاتمة :-

- تناول المحور الاول طوائف الحرف في مصر قبل تولي محمد علي باشا الحكم واثرها في المجتمع المصري وتقسيماتها ومميزاتها وكيف ساهمت رغم بساطتها في تلبية متطلبات ذلك المجتمع .

- وتطرق المحور الثاني الى النهضة الصناعية في عهد محمد علي باشا ، وكيف تولى الحكم وسعى الى تطوير الصناعة واحتكارها بانشائه العديد من المصانع والورش في طول البلاد وعرضها والتي كانت سببا في خلق طبقة عمالية جديدة وتدهور الصناعات الحرفية .
- وتضمن المحور الثالث انهيار الصناعة وفشل النهضة الصناعية وفيه تم استعراض الاسباب الداخلية والخارجية التي ادت الى فشل مشروعه الصناعي الكبير .

المحور الاول :-

- **طوائف الحرف في مصر قبل تولي محمد علي باشا الحكم .**

بعد دخول الدولة العثمانية لمصر عام ١٥١٧، اكتفى العثمانيون بالاعتماد على الولاء الديني لسكان مصر تجاه السلطان العثماني المسلم لكون غالبية سكان البلاد من المسلمين ، لذا لم ينقل العثمانيون جاليات عثمانية كبيرة سواء عسكرية أم مدنية إلى مصر ، بل اكتفوا بحاميات صغيرة في مراكز الولايات والقلاع ، وهدفوا العثمانيين بذلك الإبقاء على الأوضاع السائدة في مصر ، مقابل تقديم الطاعة ودفع الأموال للسـلطان العثماني والدعاء له في المساجد تعبيراً عن الولاء له . (١)

وقد عين السلطان العثماني والياً في مصر يدير شؤونها ، الا ان اتباع السلطان من الجنود او الامراء تركوا لكل طائفة في المجتمع المصري الحرية في ادارة شؤونها وتدبير امورها وفقاً لتقاليدها ونظمها ، ولذلك الاسلوب في الحكم مزايا ومساوئ فمن مزاياه انه وفر للشعب المصري بانتظامهم في طوائف وهيئات قدراً كبيراً من الحرية وحفظ لهم المقومات الاساسية لقوميتهم من لغة وثقافة عربية طيلة ثلاثة قرون وبحلول القرن التاسع عشر اتضحت تلك الملامح وغدت اقوى دعم للنهضة المصرية الحديثة.(٢)

اما مساوئ ذلك الحكم تمثلت باهمال مرافق البلاد اهمالاً كبيراً ، وذلك لعدم وجود سياسة عامة ترسمها الدولة وتعمل اداراتها على تنفيذها ، فقد انعكس ذلك الاسلوب في الحكم على وظيفة الحكومة وشكلها ، فانحصرت وظيفة الحكومة في اطار ضيق هو جباية الضرائب والدفاع عن البلاد كلما هددت بخطر خارجي ، وتبع ذلك الاسلوب في الحكم ان سلطة الدولة ضعفت مما فسح المجال للعنف والتعصب والاستبداد فتحولت سلطة الدولة الى سلطة عصابات مسلحة عملت كل منها على ان تقوى على حساب الاخرى للاستئثار باقصى ما تستطيع الاستئثار به من سلطان وجاه ومال ، فكان لابد من ان ينظم الشعب المصري نفسه في طوائف وهيئات لمواجهة تلك الاوضاع ليتمكنوا من تدبير امورهم والدفاع عـــن مصالحهم . (٣)

وفي ظل تلك الاوضاع ، كانت الطوائف المهنية عنصراً اساسياً في الحياة المدنية ، ومثلت للحكومات اطاراً مكنها من الاشراف على معظم الشعب العامل بالمدينة سواء صناع ام تجار .(٤) والحرفيون ، هم فئة ذات طوائف عدة كالحدادين والنجاريين والنحاسيين وغيرهم من اصحاب الحرف

والصنائع ، وكانت كل طائفة تدير شؤونها بنفسها تبعاً لنوع الحرفة التي عملت بها ، ولها اعرافها ونظمها وتقاليدها الخاصة . (٥)

وتقتضي الحقيقة القول ، ان الصناعات الحرفية اليدوية شهدت تردياً كبيراً بعد الدخول العثماني لمصر بسبب ماقام به السلطان العثماني سليم الاول (٦)من نقل العمال الماهرين في الصناعات الحرفية الى بلاده ، مما نتج عنه توقف اكثر من خمسين فناً يدوياً في مصر . (٧)

ولابد من الاشارة الى ، ان السلم الوظيفي في الحرف الصناعية بدأ في القاعدة بالصبي وانتهى في القمة بالشيخ (الرئيس) وفي الوسط يقف الاسطوات او المعلمون والعمال ، وكانت كل طائفة تتكون في هيكلها من ستة عناصر هم الصبي والعريف والمعلم او الاسطى والمختار والنقيب والشيخ .(٨) ويذكر كلوت بك(٩) في مذكراته " في القاهرة المهن والصناعات كافة على اختلافها ، لكل مهنة مثل هذا النظام الغريب واهم المهن ماكان عدد الصناع فيها اعظم منه في غيرها " (١٠) ، وكانت وظيفة الشيخ انتخابية في الاسم الا انها وراثية في الواقع في نطاق اسرة معينة يرافقه جاويش (شرطي) ، وكان التنظيم باسره وراثياً الى حد كبير لدرجــة ان

بعض الحرف المتخصصة مقتصرة في الواقع على عائلة واحدة ، فعلى سبيل المثال كان طلاء الجدران بالالوان المذهبة مقصوراً على اسرة واحدة ، ولذلك اطلق عليها (اسرة الذهبي).(١١) وكان شيوخ الطوائف يعاقبون المسيئيين من الذين يخالفون تعاليم المهنة ، لذا فهم ساهموا في ادارة المدينة وحفظ النظام ، ومثلت الغرامات التي جمعت بواسطة شيوخ الطوائف مورداً مالياً كبيراً لسلطات القاهرة ، ولجأوا الحكام لتلك الطوائف ولشيوخها عند حاجتهم للقيام ببعض الاعمال او تأمين خدمات معينة ، كما عمل شيوخ الطوائف على ممارسة وظائفهم في ابلاغ اوامر الحكومة الى اعضاء طوائفهم .(١٢)

وكانت القاهرة مقسمة الى طوائف حرفية من الناحية الجغرافية ، اذ سكنت كل طائفة مكاناً واحداً منعزلاً عن بقية المجتمع ، وكان يسمى حي كل طائفة (حارة)،فوجدت حارة النحاسين والصاغة والمغربلين ... الخ ، ونتيجة لتعدد الصناعات وتدني نوعيتها في العهد العثماني تدهور نظام الطوائف وساءت قواعده ، واستمر ذلك الوضع طيلة القرنين السابع عشر والثامن عشر ، اذ برزت مؤخراً ظاهرة اساسية ، من الناحية السياسية والاجتماعية في الدولة ، وهي اللامركزية من الناحيتين الجغرافية والوظيفية ، اذ لم يمتد نفوذ الدولة في القاهرة الى اقاليم مصر كلها ، كون الحكام المحليين في المديريات مارسوا سلطة تامة في مديرياتهم ، لاتقل عن سلطة حكام القاهرة ، حتى اضحت الصناعة في مصر اواخر القرن الثامن عشر خاضعة لنظام الطوائف . (١٣)

من جهة اخرى ، كانت بعض الطوائف تصنف حسب عقيدة افرادها ، فكان افراد الحرفة المعتنقين ديانة واحدة يكونون طائفة خاصة بهم ، وكان للمسلمين حرف مقصورة عليهم وكذلك المسيحيين ، لذا نجد ان صناعة الخمور وتجارتها كانت قاصرة على اليهود والمسيحيين ، وقد فرضت الحكومة عليهم

ضرائب بلغت (٣،٥٠٠،٠٠٠) بارة (عملة عثمانية قديمة) في السنة اثناء القرن الثامن عشر ، وكانت تجمع عن طريق الانكشارية ، وكانت حرفة البزازيين قاصرة على المسلمين فقط ، كما اقتصرت حرفة الصاغة على المسيحيين واليهود.(١٤) كما اختلفت مداخيل اصحاب الحرف الصناعية فكان حرفي النسيج في مصر اكثر ثراءً من غيرهم من الحرفيين ، اذ احتل عمال النسيج ومنتجي السكر في القاهرة مقدمة قائمة الثروات الاكبر اذ خلفوا ثروات اكبر مــن حرفيين اخرين (١٥)وكان ولاء الفرد داخل المجتمع موجهاً نحو الطائفة او المجتمع الصغير المنتمي اليه ، لذا اختفت فكرة المواطنة (ولاء الفرد نحو الوطن).(١٦)

وعلى اية حال ، قام الحرفيون باعمال صناعية سدت حاجات البلاد من السلع الغذائية والملابس والادوات البسيطة ومتطلبات البناء والتأثيث ، فضلاً عن الصناعـــات الحديدية المحدودة جداً ، وكان حجم دكاكين وورش الحرفيين صغير جداً ورأس المال قليلاً ، وعدد العمال المشتغلين في الورشة لا يتعدى عدد الاصابع ، وكانت المنازل مخصصة لعمل اغلب الحرفيين او في محلات صغيرة مستأجرة وكان هدفهم سد الحاجة المحلية الاستهلاكية ، فلم تكن فكرة التصدير موجودة الا لدى عدد قليل من الحرفيين .(١٧)

ومن الضروري الاشارة ،الى انه من مميزات طوائف الحرف انها تركت لكل فرد الحرية في ترك من عمل لديه طالما ابدى اسباباً مقنعة ، كما لم تتدخل في مسائل الاجور ولا فيما وقع من المنازعات بين المشترين والبائعين تاركة تلك المسائل من دون قيود . ولوحظ ان اهم سمة ميزت النشاط الحرفي هي الحرية في العمل والانتاج الصناعي والتعاون بين الزملاء الذين شكلوا الطائفة ، ووزع الانتاج داخل الطائفة بناءً على العرف ولم يظهر الاجر الا حينما ازدادت الفروق بين الرئيس ومعاونية واتضح من ذلك ان العمل ورأس المال كانا في ذلك النظام ملكاً لمجموعة واحدة من الافراد وهي الطائفة (١٨)، وقد حرصت بعض الطوائف على ان يكــون لها

اعتماد مالي ساهم اعضاء الطائفة به بشكل اسبوعي او شهري وباشراف مباشر من قبل شيخ الطائفة ، و استخدمت تلك الاموال لاغراض دينية كالاحتفال ببعض المناسبات الدينية ولمساعدة بعض الاعضاء في حالة مرضهم ، فضلاً عــن الانفاق في جنازة بعض الاعضاء الفقراء في حالة وفاتهم.(١٩)

وفضلاً عن ذلك ، ان طوائف الحرف حافظت على المستوى الفني للحرف الصناعية والمستوى الاخلاقي المتمثل في عدم الاحتكار ، فقد كان ينظر لذلك الامر بانه مخالف للخلق الحسن والدين وثانياً عدم منافسة الزملاء فهو مجتمع متكافىء وجاء ذلك نتيجة لانضمامهم في تنظيمات خاصــة وان مثل هذا الشكل من التضامن داخل الطائفة عكس اثره في العمل والحرفة . (٢٠)

وقد ساهمت طوائف الحرف في الاحتفالات العامة والخاصة ، فاشتركت كل طائفة في المواكب بعربة حملت نموذجاً من صناعتها ، وكانت ابرز الاحتفالات العامة الاحتفال برؤية هلال شهر رمضان.(٢١) اما الخاصة فكان لطوائف الحرف الصناعية حضور في الحفلات الخاصة للامراء والحكام ،

ففي عام ١٧٩٠ تزوج الخازندار علي اغا واقيمت حفلة حضرها الامراء والاعيان وجاءوا له بالهدايا الفاخرة ، كما حضر الحفلة التجار والكتاب من النصارى والاقباط ومشايخ البلدان وبعد انتهاء الحفلة عمل للعروس زفة ومشى فيها ارباب الحرف والصنايع جميعهم من كل طائفة عربة وفيها نموذج صناعتهم ومن يعمل فيها مثلاً القهوجي بدلته والحياك والقزاز بنوله حتى مبيض النحاس والحيطان كل طائفة في عربة[٢٢] .

كما كان لطوائف الحرف في القاهرة دور مهم في الحركات الشعبية التي حدثت في القرن الثامن عشر ، واخذت تلك الحركات شكل احتجاج مبدئي ضد الظلم بعدها اخذت شكلاً سياسياً مع مجيء الحملة الفرنسية الى مصر عام ١٧٩٨ ، فقد ساهمت الطوائف المهنية في الدفاع عن بلدهم ضد المستعمر الفرنسي[٢٣] .

ويروى لنا الجبرتي عن دور الطوائف الصناعية في مقاومة المستعمرين الفرنسيين قائلاً ، اغلق الناس الدكاكين والاسواق وخرج الجميع لبر بولاق ، فكانت كل طائفة من طوائف اهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياماً ... بحيث ان جميع الناس بذلوا ما بوسعهم وفعلوا ما في استطاعتهم وسمحت به نفوسهم من انفاق للاموال ، فلم يبخل احد بشيء يملكه [٢٤] .

عموماً ، عانت مصر في نهاية القرن الثامن عشر من ركود اقتصادي واهمال مصادر ثروتها وتناقص سكانها ، وجمود انظمتها السياسية والاجتماعية وتأخر العلوم ، والفنون فيها ، وبذلك شمل الاضمحلال اوجه الانتاج كافة ، فضلاً عن ذلك انها عاشت منعزلة عن العالم غير متأثرة بالتطورات الاقتصادية التي مهدت لظهور نظام الصناعة الحديثة في اوربا الغربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر حتى انه لم تطرأ تغيرات هامة على الصناعة المصرية اثناء فترة الحملة الفرنسية على مصر ، وذلك لقصر تلك الفترة التي امضاها الفرنسيون في مصر (١٧٩٨-١٨٠١) . [٢٥] لكن مع ذلك سعى الفرنسيون اثناء تواجدهم في مصر للاستفادة من الخبرات والمهارات التقنية للحرفيين المصريين بصباغة المنسوجات وكيفية بقاء منسوجاتهم بالوان زاهية دون تغيير ولتعلم طريقة تنظيم العمل اليومي التي اتبعها حرفيوا القاهرة في صباغة المنسوجات وتطبيق ذلك النظام في بلدهم [٢٦] .

وكان لانهيار النظام العثماني المملوكي في السنوات الاولى من القرن التاسع عشر مؤشراً لدخول مصر في مرحلة جديدة من تاريخها اتسمت ببناء الدولة المصرية واعادة بناء المجتمع المصري والاقتصاد المصري على اسس جديدة وعودة العلاقات مع العالم الخارجي وذلك كله شكل مقومات النهضة المصرية الحديثة ، وقد مهدت الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ للقضاء على ذلك النظام با ضعاف السيطرة العثمانية والاستبداد المملوكي ، فلم يكن لدى المصريين اي شك في قوة السلطان العثماني والامراء وقدرتهم على حماية بلادهم دخل الشك الى نفوس المصريين في قوة النظام الذي خضعوا له قروناً وقدرة القوانين على حمايتهم ، فقد كان الغزو الفرنسي لمصر اول غزوة اجنبية تعرضت لها مصر

منذ ايام الحروب الصليبية ، فكانت بمثابة صدمة كبيرة للمصريين جميعاً ، وفي ظل المقاومة الوطنية تقاربت طوائف المجتمع المصري من اهل الفلاحة وطوائف الحرف واهل العلم والجنود والبدو ، وبذلك التقارب بزغ فجر جديد من الوعي القومي ، كان هو احد المعاول التي عملت على هدم النظام القديم[٢٧].

يتضح مما سبق ذكره ، ان نظام طوائف الحرف الصناعية رغم بساطته الا انه لبي متطلبات المجتمع المصري في تلك الفترة ، وامتاز بالتزامه بالقواعد والعرف السائد واحترام المهنة والانتاج الكفوء حتى شكلت الطائفة الحرفية وحدة متماسكة استطاعت ان تثبت وجودها داخل المجتمع المصري.

المحور الثاني :-

<u>النهضة الصناعية في عهد محمد علي باشا .</u>

بعد انسحاب الفرنسيين من مصر عام ١٨٠١، قررت الدولة العثمانية اقامة حكومة قوية فيها ، فعهدت بالولاية الى خسرو باشا ، وعمل الوالي الجديد على تشكيل جيش قوي منظم، لقطع الطريق على المماليك لاعادة نفوذهم مرة اخرى ، وفعلاً كان المماليك مستعدين لذلك فوقعت صدامات عدة بينهم وبين القوات العثمانية .[٢٨] وهكذا تجدد الصراع بين العثمانيين والمماليك ، اما المصريين فقد التفوا حول قياداتهم الميدانية وفي مقدمتهم عمر مكرم [٢٩] نقيب الاشراف وتمسكوا بقوميتهم العربية ، وفي عام ١٨٠٤ فرض الوالي العثماني خورشيد باشا ضرائب جديدة على الشعب المصري فثار الشعب ضده وحولت القاهرة الى ميدان حرب وحدثت مواجهات بين الاهالي وجنود الوالي ، وقرر الشعب المصري عزل الوالي ، فعقد زعماء المقاومة اجتماعاً في منزل محمد علي باشا [٣٠] وتحدث عمر مكرم في الاجتماع ودعا الى تعيين والي جديد لمصر وقد ايده الجميع فاختار محمد علي وكتبوا بذلك الى السلطان العثماني في الثالث عشر من ايار ١٨٠٥ فاضطر الى الموافقة بتعينه والياً على مصر . [٣١]

وعلى اثر تلك الاحداث ، ادرك محمد علي بما امتلك من مقدرة ونفاذ بصيرة ، توجه الوعي الوطني في مصر الى الاستقلال ، فسار بذلك الوعي سيراً واعياً ضمن خطة منظمة هدفت الى ادخال تغييرات اقتصادية واجتماعية لقيام دولة حديثة قادرة على حماية الاستقلال [٣٢]، لذا سعى لجعل مصر دولة حديثة وثم ضم الدول العربية لها . [٣٣]

وقد اهتم محمد علي بحياة الشعب المصري بخاصة الاقتصادية منها ضمن مشروعه النهضوي واهتمامه بالبنية التحتية وصولاً لتحقيق الازدهار الاقتصادي لمصر .[٣٤] لاسيما انه ورث تركة مثقلة وحكومة عاطلة من كل شيء،اذ كانت الولايات التابعة للدولة العثمانية في بداية القرن التاسع عشر في حالة من البؤس والشقاء .[٣٥]

عموماً ، بدأ محمد علي باقامة اسس نظام احتكاري مركزي وشمل نظامه مظاهر النشاط الاقتصادي كلها في مصر من زراعة وتجارة وصناعة وهدف بذلك استقلال مصر اقتصادياً ، لذا احتاج الى السيطرة المركزية على الزراعة لتحسينها ، والصناعة لتحديثها وبناء جيش قوي وتنمية البلاد .[٣٦]

وفيما يتعلق بموقف محمد علي باشا من الطوائف الحرفية في بداية حكمه ، فقد اعتمد عليها اعتماداً كلياً لتوطيد مركزه فكان بحاجة ماسة لمساعداتها المالية لدفع رواتب جنده المتاخرة ففي عامي ١٨٠٧ و ١٨٠٨ استعان بأرباب الحرف والتجار لدفع رواتب جنده ، وقد حمل التجار نصف المبلغ المقرر للرواتب وارباب الحرف النصف الاخر ، واطلق على تلك الاموال التي كانت الحكومة بحاجة اليها تسمية (مال الجهاد) . وبذلك سار محمد علي على سياسة اسـلافه من الباشوات عندما كانوا يلجأون الى ارباب الحرف والصنايع لدفع رواتب الجند . (٣٧)

كما عمل محمد علي على احتكار الصناعات الصغيرة بالتدريج رغبة منه في زيادة موارده المالية ، وعملت حكومته على توجيه الانتاج والتوزيع ، فجهزت الصناع بالمواد الاولية بثمن محدد ، وطالبتهم بتصنيعها في وقت محدد حسب معدل فرضته عليهم ، ثم اشترت المنتجات المصنعة منهم بسعر قليل وختمتها بختم الحكومة لاحكام رقابتها عليهم ثم باعتها باسعار مرتفعة مقارنة بثمن شرائها . (٣٨) كما منع تسرب اي انتاج حرفي الى السوق ومنع المواطن المصري من الشراء الا من الحكومة وغلق منافذ التهريب بالاستعانة بعدد من المكلفين برقابة العمل والانتاج وتصريفه ، وعمل على تجميع اصحاب الحرفة الواحدة في مكان معين كي تسهل عمليات الرقابة والحصر . (٣٩)

من جهة اخرى ، اهتم محمد علي باشا بالصناعة ، فوجد ان الصناعات الحرفية والمهنية السائدة في المجتمع المصري صناعات محلية لا تلبي طموحاته بانشاء صناعة حديثة وثقيلة على النمط الاوربي من خلال تحويل المواد الاولية في مصر الى مواد مصنعة وبيعها في الاسواق الخارجية . (٤٠) ولاحظ بان مستورداته الصناعية استنزفت موارد مصر ، فأراد التخلص من تلك المبالغ التي كان على مصـــر دفعها للصناعة الاوربية .(٤١) فبدأ تدريجياً باهمال الصناعات القديمة وطوائف الحرف واولى اهتماماً بالصناعة الحديثة لاسيما اللازمة للجيش فقد جعلها بالمقام الاول والمدنية في المقام الثاني ،خاصة وان الايدي العاملة كانت رخيصة جداً ، فضلاً عن صلاحية مناخ مصر للصناعة ، فبنى المصانع المختلفة . (٤٢)

ومما لاشك فيه ، ان محمد علي ادرك المصاعب التي ستواجهه من اجل تحديث الصناعة في مصر، ومنها جلب الفحم والحديد والاخشاب والالات من خارج مصر ، فضلاً عن ما يلزم العمال المصريين من وقت لاكتساب خبرة كبيرة يستطيعوا بها منافسة عمال اوربا(٤٣)، ومع ذلك انشأ مصانع ومعامل عدة في طول البلاد وعرضها ليروج المصنوعات على الطراز الغربي لاعتقاده ان تغيير معالم البيئة المادية يساعد كثيراً على تغيير معالمها المعنوية ويمكن البلاد من الاستغناء قدر المستطاع عن الواردات الاجنبية . (٤٤) وكان اول مصنع حكومي في مصر هو مصنع النسيج في حي الخرنفش في القاهرة الذي بدأ عمله عام ١٨١٦ ، ثم انشأت المصانع بعد ذلك الحربية وغير الحربية(٤٥)

واجه محمد علي في بداية نهضته الصناعية صعوبة في ارسال العمال الى المصانع ، ومما يبين ذلك ما ذكره احد ضباطه من ان المشايخ عجزوا عن توفير العمال من الفلاحين بسبب تكاسلهم وتباطئهم

مما دفعه للقيام بعملية جمع العمال بنفسه ومعه ستة من معاونيه وانه في اثناء سيره في الطريق لجمع العمال راى شاباً قوياً سليم الصحة يعيش على التسول وتقدم بطلب الاحسان منه ولكنه اخذه بالقوة الى العمل في المصانع وحـدد محمد علي اجراً لهم مقابل عملهم في المصانع ، كما استخدم السجناء والمعوقين الذين اصيبوا في الحرب ، فضلاً عن استخدام النساء والعبيد السود في المصانع .[٤٦]ولكي يتغلب محمد علي على مشكلة حاجته الى ايدي فنية وعمال مهرة وحرفيين ، اوعز الى نشر اعلان في شهر نيسان عام ١٨١٤ بمدينة مالطا اعلن فيه عن حاجته للايدي الفنية والاوربية للتعاقد معها للعمل في مصر ، لذا بدأت الايادي العاملة المهنية ذات الخبرة الفنية بالتوافد الى البلاد .[٤٧] وامر وكلائه في العواصم الاوربية بالتعاقد مع عمال مهرة متخصصين في صناعة النسيج ، وقد تدرب على يد هؤلاء العمال المصريين ، وبرز اثنان من الفنيين الفرنسيين اعطيا لصناعة الغزل والنسيج في مصر شهرة واسعه وهما الميكانيكي (جيسيب بوكتيBoquetieJessup) الذي شغل منصب مدير مصنع النسيج والمهندس (جومل بوكتي JoumileBoquetie) الذي اجرى تجـارب على نوع جديد من القطن ادت الى ازدهار كبير لزراعة ذلك الصنف وهما من سكان ليون الفرنسية .[٤٨]وقـد حققت صناعة النسيج المصرية نجاحاً واسعاً واشتهرت في الدول الاوربية .[٤٩]كما خصصت احد اهم مصانع النسيج التي اقامها محمد علي في انتاج وتقليد المنسوجات الهندية ، ويذكر كلوت بك في مذكراته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ان مصنع المنسوجات ذلك ينتج شهريا ثمانمائة قطعة فاخرة من المنسوجات الهندية وكانت منافسة لمثيلاتها في المانيا وبريطانيا وقل استيراد تلك المنسوجات من خارج البلاد ، وربما كان عمال المصانع تلك قد تدربوا قبل التحاقهم بالمصانع داخل نظام طوائف الحرف ، كمـا ان بعض تقنياتهم انتقلت الى المصنع [٥٠]، وفي عام ١٨٤٨كانت نسبة العاملين في مصانع الغزل والنسيج تبلغ (٦٦%) من مجموع الايدي العاملة في مصر ، اما الصناعات العسكرية فبلغت نسبة الايدي العاملة فيها (١٧%)، والصناعات الاخرى كالورق والسكر ... الخ بلغت (١٧%) ايضاً [٥١] .

ومع زيادة انتاج القطن وتوسع التجارة المصرية ، وفدت الجاليات الاجنبية الى مصر لاسيما من اليونان ومسيحي المشرق ويهود اوربا الى القاهرة والاسكندريـــة . [٥٢] و كانت الفكرة الاقتصادية التي استولت عليه وشجع عليها المستشارون الاجانب الذين جذبتهم الارباح كون المواد الاولية متوافرة والايدي العاملة رخيصة ، فأن المشكلة منحصرة فقط في استيراد الالات والمساعدات الفنية من اوربا لتحويل مصر الى بلاد صناعية ، ولوضع اسس ثورة صناعية موازية لتلك التي شهدتها بريطانيا وفرنسا .[٥٣]

وفي السياق نفسه ، استعان محمد علي بالسودانيين في صناعة الاصواف (الجوخ) لتعليم تلك الصناعة للمصريين .[٥٤]

من جهة اخرى ، عمل على استغلال الحرفيين في اعماله ومصانعه سواء بالاجر او بالسخرة ، فاستغل المختصين في الابنية، كالبنائين والنجارين والنشارين والخراطين ، والزمهم العمل في اعمال

الدولة ، مما ادى الى اختفاء الكثير منهم وتركه لصناعته واغلاق حانوته، وعلى اثر ذلك عطلت اعمال الناس في التعمير والبناء ، وفي اب عام ١٨١٩ كلف محمد علي الكتخدا بك (كبير الوزراء) بالاكثار من اصحاب الحرف والصناعات من المعماريين والحدادين ، وزيادة اجورهم .[٥٥]

كما تعرض الحرفيون لمراقبة شديدة من المحتسب الذي كان يطوف بالاسواق متجسساً عليهم وقابضاً على كل من اغلق حانوته او تركه فارغاً او من باع بالزيادة ، ولم يكن هدفه من ذلك الرقابة على الاسعار وخدمة المستهلكين بقدر ما كان ذلك الاهتمام عائداً في اساسه الى كسب المال وقطع ارزاق العاملين ، وكان عمال محمد علي بمجرد ان يجدوا ان هناك صناعة معينـــة تدر الارباح الوفيرة لا يلبثوا ان يخبروه بها وينبهوه الى اهميتها وما يكسبه صاحبها من المال . [٥٦]

وتقتضي الحقيقة القول ، ان اخذ الصناع وتسخيرهم في اعماله لم يكن السبب الوحيد الذي اضر بصناعتهم وانما كان احتكار الدولة لبعض الصناعات قد اضر بحرفيتها ، واذا كانت الحكومة قد احتكرت الصناعات التي يمكن ان تديرها الدولة ، فيبدوا ان هناك بعض الصناعات لم يكن بوسعهم انتزاعها من ايدي الاهالي ، لذا لجأت في مثل تلك الحالات الى فرض ضرائب على اصحاب الحرفة ومن تلك الحرف صانعوا المخلل والاواني والقدور ومبيضو النحاس والخبازون والحدادون والحانوتية وطائفة البهلوانين والغجر والطبالون والحلاقون والحمـــالون وغيرهم ، بل فرضت عليهم ضريبة معينة حسب مقدار ربحهم وقدرتهم على الدفع ، فأصبح منحقهم احتكار مهنتهم مقابل مبلغاً يدفع للحكومة ، وعدت تلك الفروض بمثابة اتاوات ثقيلة على اصحاب الحرف بل وضرائب مباشرة بلغت من الظلم منتهاه واخـذت تلك المبالغ تذهب لخزينـــة محمد علي .[٥٧]

وفي ظل مساعيه لتطوير الصناعة ، ادخل صناعات جديدة الى مصر ، منها صناعات تجهيزية وتحويلية وحربية ، وشملت الصناعات التجهيزية ، صناعة الات حلج وكبس القطن ومضارب الارز ومصانع لتجهيز النيلة ومعاصر للزيت ومصانع لتحضير المواد الكيماوية للازمة للمصانع ، اما الصناعات التحويلية ، فقد شهد عهده توسعاً كبيراً في صناعة المنسوجات بانواعها ، مثل صناعة غزل ونسيج القطن وصناعة الحرير وصناعة الصوف (الاجواخ) وصناعة المنسوجات الكتانية ، وفضلاً عن ذلك كانت هناك صناعات تحويلية اخرى مثل ، صناعة الطرابيش وصناعة السكر ، وبخصوص الصناعات الحربية فعمل على انشاء المصانع الحربية بعد انتهاء حربه مع الوهابيين ، وتكوين الجيش النظامي عام ١٨١٦ [٥٨]والمصانع العسكـــرية منها مصانع القلعة ومصانع البنادق في الحوض المرصود ومسبك الحديد (مسبك بولاق) ومصنع البارود [٥٩]كما انشأ دار للسفن في الاسكندرية وكانت قادرة على منافسة دور السفن في العالم [٦٠]

ولابد من الاشارة ، الى انه كان لكل مصنع ادارته الخاصة ومخازنه ، وكانت هناك اختام رسمية لمنع التزوير في الصناعة ، وبذلك فان كل ما كان يخرج من المصـــانع ملكاً لمحمد علي . [٦١]

وكان اهتمام محمد علي في السنوات الاولى من حكمه منصباً على الصناعات العسكرية لا مداد جيشه والوفاء باحتياجاته ، الا انه فيما بعد حرص على تعليم الصناعة للشعب المصري للنهوض بدولته الحديثة ولم يكن المشايخ والعمد هم وحدهم المكلفون بجمع العمال اللازمين للمصانع ، بل كلف النظار (المدراء) ايضاً بتلك المهمة وخصص لهم يوميات محددة وذلك بعد ان صدرت اوامره بمنع المشايخ عن اخذ احد من الاهالي مباشرة بل الرجوع اولاً الى الناظر .[٦٢]

وفي السياق نفسه ، ارسل محمد علي البعثات المصرية الى اوربا لتعلم فنون الصنايع ففي الاول من كانون الثاني ١٨٣٠ وصلت بعثة مصرية كبيرة الى اوربا مؤلفة من ثمانية وخمسين تلميذاً لتلقي الفنون الاليـة (الصنايع) من بينهم اربعة وثلاثين تلميذاً ارسلوا الى فرنسـا و اربعة الى النمسا وعشرون الى بريطانيا، ولم تحدد لهم مرتبات شهرية بل كان يستلم كل شخص منهم في كل اسبوع مبلغاً يسيراً من الفرنكات بمثابة مصرف يده وازداد ذلك المصرف لبعضهم لتفوقه في صنعته ، وتعلموا اولئك التلاميذ فضلاً عن الحرف الرياضيات والرسم واللغة الفرنسية [٦٣] .

ولابد من الاشارة الى ، ان الاربعة الذين ارسلوا الى النمسا كـــان لغرض تعلم صناعة الاصواف (الاجواخ) التي تصنع منها العباءة[٦٤] .

وارسل محمد علي في عام ١٨٣٢ خمسة عشر تلميذاً اربعة منهم للتخصص في مجال الفحم و التعدين في بريطانيا التي تعد اشهر دولة في اوربا بمناجم الفحم والتعدين انذاك، والباقين للتدريب في ورش صناعة الحرير . [٦٥]

ومن الضروري الاشارة الى انه اعتمد في تمويل الصناعة على مصادر مختلفة منها ، ارباحه من الاحتكارات والتجارة ، لاسيما تجارة القطن ، وارباحه من المشروعات الصناعية القائمة فعلاَ ، والضرائب لاسيما ضريبة الارض ، والقروض الاجباريـــة والتلاعب في قيمـــة العملة . [٦٦]

عموماً ، ان سياسة الاحتكار التي اتبعها محمد علي قد اضرت باصحاب الحرف وانتاجهم ، اذ ان الحرفيين قبل توليه الحكم كانوا يعملون من منطلق المصلحة الخاصة ، وهي الربح والمحافظه على مستوى الانتاج ، ولكن بعد فرضه لنظامه الاحتكاري تحول الحرفي الى مجرد الة ، قضت تدريجياً على الابتكار ، وبالتالي تراجع الانتاج الحرفي ، سواء من حيث الحجم والدقة والمهارة الفنية ، لان نظام الاحتكار قد ثبط الهمم واثر على الدخول .[٦٧]فضلاً عن تفوق الانتاج الاجنبي وتقدمه في الوقت الذي يتطلب من الحكومة تنظيم حملة للتوجيه والارشاد والتدريب والتحديث وتقديم المعونات المالية ، الا انها عملت على احتكار ماكان قائماً بالفعل ، للحصول على الارباح ، مما اضاف الاحتكار اسباباً جديدة لتدهور الانتاج الحرفي في وقت كان ذلك الانتاج مهدد بالتدهور ان عاجلاً ام اجلاً نتيجة النهضة الصناعية العالمية منذ انطلاقة الثورة الصناعية في بريطانيا وامتدادها الى اوربا ولم تستطع الرقابة الشديدة التي فرضها محمد علي عن طريق المكلفين بتلك المهمة منع التهرب من الاحتكار ، بل كان

ذلك التهرب قائماً على نطاق واسع ومما ساعد في ذلك ضعف الادارة القائمة بالرقابة وانتشار الرشوة بين افرادها ، وفي مثل تلك الظروف من التعسف والرشوة ونقص العائد بالنسبة للمنتج لاتنجح اي عملية اقتصادية انتاجية النجاح المطلوب . (٦٨)

كما تعرض الحرفيون لظلم المخبرين وبعض رجال الادارة الذين استخدمتهم الحكومة للتجسس عليهم ، وقد استغل اولئك سلطتهم وتعسفوا في استخدامها ضد الحرفيين ، وبذلك كان الاحتكار وسيلة لتأمين حصول الحكومة على الضرائب ، ومن مساوئ الاحتكار حرمان الحرفيين من ارباحهم الكاملة المشروعة ومن التصرف في انتاجهم ، مما اضعف رغبتهم في الانتاج ودفع بعضهم الى ترك عملهم مما اضر ذلك بالصناعات الصغيرة وادى الى اضمحلالها ، وكان لتلاعب بعض رجال الادارة بالتواطؤ مع الكتبة بالموازين والمكاييل الى اثرائهم على حساب الحرفيين ، والتسويف في دفع استحقاقات الحرفيين في المواعيد المقررة من الاسباب التي اضرت باصحاب الحرف ، وفضلاً عن ذلك حال احتكار الحكومة لبعض الصناعات الصغيرة دون نمو الاستثمار الفردي ، كما ادى ارتفاع اسعار المنتجات الصناعية الى زيادة نفقات المعيشة والاضرار بالمستهلك ، وفضلاً عن الضرر الذي اصاب الصناعات الصغيرة من جراء نظام احتكارها منذ عام ١٨٠٩ بهدف الحصول على الربح ، فكان التوسع في انتاج المصانع الحكومية سبباً في حرمان الحرفيين من المواد الاولية ومن الاسواق ، كما ادى الى نقص الطلب على تلك المصنوعات الحرفية (٦٩) ، وقد عمل عدد من الحرفيين الذين فقدوا اعمالهم موظفين ادارين في مصانع محمد علي ، والتي انشأها بالقرب من مناطق انتاج المواد الاولية الزراعية كي تستخدم الايدي العاملة المحلية . (٧٠)

ولم يجد محمد علي صعوبة في تصريف منتجاته الصناعية في الداخل وذلك لسببين اولهما ، زيادة عدد الجيش في عهده زيادة كبيرة وتطوير وتحديث البحرية مما خلق سوقاً رائجاً لمنتجاته الصناعية وثانيهما ، كان هو المشتري الاكبر وذلك عن طريق احتكاراته فهو يستطيع تصريف الانتاج محلياً عن طريق تأمين بيعه ، اما السوق الخارجية فحاول فتح اسواق خارجية جديدة عن طريق وكلائه في الخارج ، فسعى للتعرف على المنتجات المطلوبة في الخارج لتصنيعها في مصانعه . (٧١)

وعليه ، كانت مصانع محمد علي تتركز في القاهرة والاسكندرية ، وكثير منها منتشر في مصر في منطقة الدلتا والصعيد ، وقد استوعبت تلك المصانع والورش الحديثة آلاف العمال ، وهو وضع جديد على المجتمع المصري وعلى اقتصادياته ، ومع ماكان لديه من عناية لحجم الانتاج ، كانت الرعاية الاجتماعية غير متوفرة ، كما كان لتسلط الخبراء الاجانب واضحاً نظراً لقلة خبرة العامل المصري بادارة مثل تلك المشروعات الصناعية ، فضلاً عن ان اولئك الاجانب لم يقدموا المشورة كاملة . (٧٢)

من جانب اخر ، واجه محمد علي اثناء عملية تحديثه للصناعة ظاهرة هروب العمال من مصانعه وورشة ويعود سبب ذلك الى عدم اعتيادهم على العمل المنضبط او لانخفاض الاجور او لكلا السببين

معاً ، ويلاحظ في جميع الحالات ان مبدأ العمل الاجباري كان هو السائد وان مثل ذلك المناخ لا يساعد على خلق طبقة عمالية واعية خصوصاً في ذلك الوقت الا انه بمرور الوقت وبإصرار محمد علي على تكوين الصناعة الكبيرة تكونت في مصر طبقة عمال مهرة وصاروا موضع اعجاب شديد لمن شاهد اعمالهم وساهموا في تقدم مصر الصناعي وبذلك حقــق بعض اهدافه التي رمى اليها كالوقوف على مدى قبول الشعب لنظمه الجديدة وتوجيهاته الحديثة في الصناعة والتي لم يتعود عليها الشعب من قبل وفي الوقت نفسه حقق الاكتفاء الذاتي في الصناعة سواء للجيش او الشعب ، وبناءً على التنظيم الجديد ونظراً لان النشاط الصناعي عم معظم المدن فقد الحت ظروف العمل بانشاء ديوان خاص سمي (ديوان الفابريكات) (وزارة الصناعة حالياً) وعلــى ذلك النظام الحديث سار العمل تحت ادارة منظمة وتوجيه دقيق لا يعرف فيه العامل الا محمد علي وادارته بعد ان كان خاضعاً لطائفته الحرفية ، ولم تكن مصانعه مصانع انتاج فقط ، وانما كانت مدارس صناعية تعلم فيها العامل اسلوب الصناعة الحديثة ، وامر محمد علي بجمع الاف الصبيان لالحاقهم بالمصانع ليتعلموا الصناعة الحديثة على ايدي خبراء اجانب لانه هدف خلق طبقة جديدة بتنشئتها تنشئة حديثة لتحل محل الخبراء الاجانب في الصناعة وتكون عدته الصناعية . [٧٣]ومما نتج عن سياسته تلك تقويض نظام الصبية الذي كان الضمان لاستمرار نمو الطائفة والحفاظ على تقاليدها المرعية . [٧٤]

وتبعاً لذلك ، عمل على رفع اجور العمال ، فضاعف اجور العمال في مختلف الصناعات حتى بلغت اربعة اضعاف ماكانت عليه في الوقت الذي لم تزد نفقات المعيشة الا قليلاً ، ويبدو ان سبب ذلك هو رغبته في تحبيب العمل الصناعي للشعب المصري الذي الف اغلبهم الزراعة دون غيرها من المهن الاخرى ، فضلاً عن رغبته في تحسين مستوى الشعب المصري المعيشي .[٧٥]

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول ، ان محمد علي باشا حاول جعل مصر بلداً متقدماً صناعياً من خلال اقامته المصانع والورش المتنوعة ، الا ان ذلك كان على حساب الطوائف الحرفية وان مشاريعه الصناعية جاءت لتضع اللمسات الاخيرة في انهيار نظام الطوائف الحرفية .

المحور الثالث :انهيار الصناعة وفشل النهضة الصناعية .

انهارت الصناعة في نهاية عهد محمد علي واغلقت اغلبية المصانع الحكومية ، ولم يتبق سوى بعض الصناعات التقليدية وذلك بفعل عوامل داخلية وخارجية ، فالداخلية نابعة من داخل نظامه الاقتصادي نفسه منها ، سوء الادارة والفساد الحكومي . [٧٦]كما انه اهتم بتحديث الصناعة من خلال اقتباس ادوات النهضة الاوربية الحديثة واستيرادها ، فاقام مصانع كبيرة عدة ، وكان هو المالك لتلك المصانع ، وكان مجتهد في ادارتها وتوجيهها ، فأدار بعضها بالطاقة البخارية التي كان اختراعاً مدوياً انذاك ، الا انه لقي مشاكل عدة في اثناء استخدامها ، فلجأ الى استخدام حيوانات الجر في ادارة الالات ، بل وحتى استخدام الطاقة البشرية في ادارتها ، كما ان الصناعة في عهده ركزت على تزويد الجيش

والاسطول باحتياجاتهما . [٧٧]وقد اتفق اغلب المؤرخين المعاصرين على ان اصلاحات محمد علي بدأت بالجيش ، فرغبته في انشاء جيش قوي دفعته الى خلق نظام اقتصادي جديد ، اذ دارت جميع اصلاحاته حول الجيش واتضح ذلك عندما انهارت معظم مشروعاته الاقتصادية وتوقف التوسع الصناعي ، بل اصاب الاهمال مصانعه وترساناته وهدف محمد علي من ادخال الصناعات الى الحصول على ارباح سريعة، لذا فقد اهتمامه بها عندما لم تحقق له ما اراد ، فضلاً عن ان نشأة الصناعة تعود الى رغبته في تجهيز جيشه بالمعدات الحديثة ، فضلاّ عن الترسانات ومصانع الاسلحة الثقيلة والخفيفة ومصانع الذخيرة ومصانع الغزل والنسيج التي خصص جانباً كبيراً من طاقتها الانتاجية لخدمة القوات المحاربة وبعد تقليص تلك القوات انتفت الحاجة الى تلك الصناعات . [٧٨] لذا لم تراع اية قواعد اقتصادية في عملية النهضة الصناعية ولم تنمو نمواً طبيعياً بل كانت نهضة مفتعلة ليس لها هدفاً الا سد مطالب الجيش فكان المفترض اقامة بعض الصناعات المتوافرة لها الامكانيات وان تكون في بدايتها صغيرة الحجم ثم تتطور بعد ذلك وتتوسع كلما زاد عدد السكان ، وكلما ارتفع مستوى دخولهم ومعيشتهم ، كما ان حجم السوق يعد من الشروط الاساسية الواجب توافرها لنجاح حركة التصنيع ، واذا كان الاستهلاك هو المحرك الاساسي للنشاط الاقتصادي فان الاستهلاك على نطاق واسع ، يمكن من التصرف الكبير ومن ثم الانتاج على نطاق واسع ، والتمتع بوفورات الانتاج الكبير في حين ان حجم السوق في عهد محمد علي كان ضيقاً بسبب انخفاض مستوى الاستهلاك .[٧٩]

ومما لاشك فيه ، انه من ضمن الاسباب التي ادت الى فشل النهضة الصناعية عدم استقلال محمد علي عن الدولة العثمانية وبالتالي لم يتمكن من فرض الرقابة اللازمة لصناعته باقامة الحواجز الكمركية.[٨٠]

من جهة اخرى ، كان الفلاحين العاملين بالحرف المختلفة كارهين العمل بدرجة كبيرة ، ولما كانوا مساقين الى المصانع فاضطروا الى تأدية العمل كرهاً ، وكانوا قبل عملهم في المصانع اصحاء ، الا ان طبيعة عملهم وما بها من قيود السجن مع قلة الاجر وقلة مالديهم من امكانيات ذلك كله كان سبباً في انحلال صحتهم وتدهورها فهم لايزورون زوجاتهم واولادهم وليس لديهم وقت لتناول الطعام او الوضوء او القيام بالواجبات الدينية ، وكان اقل اهمال او سوء تصرف تتبعه عقوبة مباشرة، اذ صاحبت الناظر هيئة تنفيذ احكام الجلد بالسوط ، لذا كان العمال يتحينون الفرص للفرار من المصانع .[٨١]

على صعيد اخر ، ان انشاء المصانع كلف نفقات باهضة في الوقت الذي لم يكن عائدها كبيراً او حتى موازياً لنفقاتها ، ويذكر البعض ان السبب في ذلك يرجع الى اخلاء الحكومة ، في وقت غير مناسب ،للخبراء الاوربيين الذين عهدت اليهم بادارة تلك المصانع وتعليم عمالها ورغبتها في تعيين المصريين محلهم قبل حصولهم على الخبرة والتدريب الضروري في عملهم . بينما يذكـــــر اخرون ان النفقات الباهضة التي تحملــها محمد علي بسبب تلك المصانع عائد الى الاجور العالية التي دفعها للاوربيين

من المالطيين وغيرهم العاملين في مصانعه لمهارتهم الفنية من جانب ولتوجيه العمال المصريين من جانب اخر ، والذين لم يكن اغلبهم حريصين على الاموال المصرية او مصلحة مصر ، وما كلفته البعثات التي ارسلها للخارج لاتقان اساليب الصناعة وفنونها .[٨٢]

ولما كانت مصر بلد الرمال ، كانت الرمال تتسلل الى الآلات ، واصابتها بسرعة مما أثر على عملها ، لذا كانت الحكومة مرغمة باستمرار على جلب الآلات الجديدة من اوربا التي تتوقف عن العمل حتى قبل عملها فعلاً لافتقارها الى عمال قادرين على صيانتها [٨٣]، في حين ذكر المؤرخ (ارثركَولدشمدت) بان العمال المصريين هم من عطل المكائن والالات بوضع الرمال فيها احتجاجا على انظمة العمل الصارمة في المعامل [٨٤]كما ان محمد علي وقع في ايدي بعض المستغلين الاجانب الذين استغلوا جهله من جهة وطموحه الشديد من جهة اخرى في عقد صفقات لاحضار الآلات والمعدات لمصانعه والتي تبين عدم صلاحيتها .[٨٥]

ولابد من الاشارة ، الى انه واجهت محمد علي باشا مشكلة الاضاءة في المصانع ، لذا فلم تعمل المصانع ليلاً نظراً للتكاليف الباهضة، ففي الشتاء عملت المصانع ثماني ساعات ، وعشر ساعات في الصيف ، ولذلك لم يستطع التغلب على مشكلة الاضاءة وبخاصة فصل الشتاء ، وكان سكن بعض العمال البعيد عن المصانع يترتب عليه اضاعة الوقت ، فضلاً عن تحول الطرق في الشتاء الى مستنقعات ، ولم يخل الامر من حدوث الشغب والاضطرابات بين العمال المصريين والعمال الاوربيين في المصانع بسبب دسائس التجار الاوربيين بعد انتظام العمل في المصانع الذين فقدوا الربح الوفير بعد انشائها .[٨٦]

كما ان العيب الجوهري في مصانع الغزل والنسيج التي انشأها كانت قائمة على نظام الاحتكار وذلك النظام لا يتفق والتطور الصناعي ، والواقع ان معظم مصانعه اقفلت في اواخر عهده واقفل الباقي في عهد عباس باشا الاول [٨٧]، ويعود السبب في اضمحلالها ان ادارتها كانت في يد موظفي الحكومة فانعدمت فيها الادارة الحرة التي هي اساس ارتقاء المشروعات الصناعية والاقتصادية ، ولم يكن الموظفون امناء ولااكفاء لإدارتها ولا غيورين على عملهم فيها ، فادى سوء الادارة في معظم تلك المصانع وضعف الرقابة على الموظفين الى فشلها . [٨٨] فلم يتمكن محمد علي من الانهماك والانشغال بجوانب النشاط كافة ، لذا اعتمد على نواب وتلك هي نقطة الضعف في النظام الاقتصادي [٨٩] ، كما كان لمنافسة البضائع الاوربية اثرا في ذلك [٩٠] .

وعلى اية حال ، ادرك محمد علي في اواخر عهده عاقبة الافراط في فرض الرقابة على الصناعات الصغيرة ، فعدل عن ذلك واكتفى بفرض ضرائب عليها ، وعلى اساس ذلك عادت بعض الصناعات كصناعة الاحذية والادوات المنزلية الى اصحابها لعدم حصوله على ربح منها، وسمح لصناع

الحصر بصناعة حصر لحسابهم الخاص ، وعادت صناعة الحرير الى ايدي الافراد، وسمح بالاشتغال بصناعة النسيج لمن يشاء من الافراد لقاء ضريبة شهرية معينة [٩١] .

اما الاسباب الخارجية ، التي ادت الى فشل النهضة الصناعية في عهده مثلت بمقاومة دول اوربا لحركة التصنيع الوليدة ، فعملت تلك الدول لاسيما بريطانيا على اسقاط نظامه، اذ عقدت بريطانيا مع الدولة العثمانية معاهدة بلطة ليمان BaltaLimanعام ١٨٣٨ [٩٢]لتأمين حرية التجارة في الدولة العثمانية ، وماكان في وسع صناعته الناشئة الصمود لمنافسة بريطانيا فقل ايراده من التجارة الخارجية الامر الذي اثر في خفض الاعتمادات الخاصة بالصناعة ،وبعد ان بلغ عدد العمال الصناعيين في ذروة التصنيع ثلاثين الفاً نجد انهم تضاءلوا الى ما يقارب من النصف في اواخر عهده ، اذ عملت الرأسمالية الصناعية في بريطانيا وبقية اوربا على غزو العالم بمنتجاتها ، ويبدو ان محمد علي استطاع نقل الصناعة من الحرفية الاقطاعية الى الرأسمالية الصناعية، وانتجت مصانعه الاقمشة والزجاج والورق والسكر وغيرها ، الا ان ذلك التحول تم على حساب طبقة الحرفيين المصريين تلك الطبقة التي كان في امكانها في ظل ظروف نمو طبيعي ان تتحول الى برجوازية صناعية وتجارية مثلما حدث في اوربا ، لذلك لم تجد الرأسمالية الاجنبية وهي تدخل الى مصر بعد ذلك قوة في مواجهتها من البرجوازية او طبقة الحرفيين بل وجدت السوق المصري خالياً تماماً .[٩٣]

عموماً ، كانت النتائج الاقتصادية للمعاهدة مزدوجة ، فمن جهة لوحظ تسارع نمو النمط الرأسمالي وزيادة الرواج التجاري ، ومن جهة اخرى كان لتنافس السلع الاجنبية الرخيصة اثره في اعاقة نمو عدد من الصناعات المحلية [٩٤]

ومن المهم الاشارة الى ، ان محمد علي رفض تنفيذ احكام المعاهدة واستمر باتباع سياسة الحماية للمنتجات المصرية ليس داخل حدود مصر فحسب وانما داخل حدود البلدان المسيطر عليها ايضاً ، وبلغت عملية الصراع بين مصر والمصالح الكبرى ذروتها بعمل عسكري في ايلول عام ١٨٤٠ بواسطة القوى الخمس التي وقعت معاهدة لندن عام ١٨٤٠ وهي بريطانيا وروسيا والنمسا وبروسيا والدولة العثمانية ونتج عنها ضرب الدولة المصرية كقوة كان من الممكن ان تهدد رأسمال اوربا لاسيما رأسمال بريطانيا تهديداً خطيراً في شرق البحر المتوسط ، وبضرب الدولة المصرية قضي على محاولة بناء اقتصاد مستقل في اطار السوق العالمية مرتكز على الجانب الصناعي[٩٥] .

وبعد هزيمته عسكرياً وفرض الدول الكبرى تسوية عام ١٨٤٠-١٨٤١ ، والتي كان ابرز أهدافها تحديد قوة مصر العسكرية البرية والبحرية ، ولما كانت الصناعة الحديثة ارتبط قيامها في مصر بالجيش والاسطول فقد اغلقت الكثير من المصانع وانهارت بذلك التجربة الصناعية في مصر . [٩٦]

وبعد تلك المصاعب التي واجهها محمد علي وتدهور صحته بسبب كبر سنه سعت الدول الكبرى والباب العالي الى تحطيم احتكاراته اعتقاداً انها شكلت العمود الفقري لقوته ، الا انه نجح فترة من الوقت

في جعل معاهدة بلطة ليمان ورقة ميتة لانه امتلك وسائط النقل النهري ومساحات واسعة من الاراضي الزراعية ، مما جعله المنتج الرئيس والناقل الاول ، الا انه بانهيار صحته ضعفت مقاومته وساء الاقتصاد المصري وقل الانتاج وزاد الاستهلاك ، فعجز عن ادارة شؤون الدولة عام ١٨٤٨ واتجه الى اوربا للعلاج في السابع والعشرين من شباط موكلاً حفيده عباس بن طوسون ولم يعد الى الحكم بعد عودته وترك الحكم لابنه ابراهيم باشا . (٩٧)

وهكذا فسحت الدولة العثمانية المجال للدول الاجنبية للتدخل في شؤون مصر ، وشهدت السنوات التالية لعام ١٨٤٠ اشكالاً من التدخل الاجنبي السياسي والعسكري والاقتصادي ، وهدف الى تقييد قوة مصر العسكرية ونشاطها الاقتصادي على وجه الخصوص والسيطرة على اموالها ونهب خيراتها وفتح الاستثمارات الاجنبية فيها. (٩٨)

وعلى اية حال ، ان نظرة الى تلك الصناعات في حجمها وجودتها وتنوعها يبين ان مصر في ذلك العصر امتلكت قاعدة صناعية ضخمة كانت كفيلة لولا اخطاء محمد علي في الصدام مع الدولة العثمانية وانهيار مشروعه العسكري ان تصبح اكبر قاعدة صناعية في العالم ولو احسن محمد علي التخطيط الاستراتيجي واتجه الى افريقيا بدلاً من الصدام بالدولة العثمانية لكان وجه التاريخ قد تغير ، وكانت تلك الصناعة من التنوع بحيث شملت الحديد والصلب والنحاس ومصانع السلاح والذخيرة وصناعة الغزل والنسيج وغيرها مما دل على ان مصر بوضعها الاجتماعي والاقتصادي والفكري في ذلك الوقت كانت قادرة على الدخول في عصر الثورة الصناعية ، فكان اهلها اكفاء لعمل كل ذلك وادارته واتقانه وتطويره لولا اخطاء محمد علي الاستراتيجية ولولا ارتباط المشروع الصناعي بالجيش . (٩٩)

وتبعاً لذلك ، حاولت الصناعات المحلية الصغيرة استعادة نشاطها بعد فشل النظام الصناعي الكبير ، الا انها فقدت الكثير من مقوماتها ، اذ فقدت الخبرة الفنية التي كانت تعتز بها ، ونظام الطوائف الذي كانت تحتمي به ، فضلاً عن انها لم تعد قادرة على تلبية الحاجات الجديدة والاذواق الجديدة للمجتمع المصري اثناء تطوره السريع في القرن التاسع عشر .(١٠٠)كما كان للمنتجات الاوربية التي غزت السوق المصرية اثراً في ذلك (١٠١)

ومهما كانت محاسن ومآخذ السياسة الصناعية التي سار عليها محمد علي الا انها كانت محاولة جادة في التقدم الصناعي ، وعادةً ما تكون البدايات الاولى معرضة لعقبات واخطاء ، الا انها مما لاشك فيه كانت محاولة جريئة خلقت صناعة ، وخلقت مفهوماً للعمل الحديث والعمال ، ومع ان العمال لم يشكلوا في عهده ولا في معظم سني القرن التاسع عشر فئة لها دور اجتماعي فأن تلك الطائفة ولدت مع النصف الاول من القرن التاسع عشر وطورت من بعد لتصبح طائفة لها مكانتها في مصر في القرن العشرين(١٠٢) كما فتح مصر للصناعات الكبرى واثبت اهلية الشعب المصري لها وحاجة البلاد اليها (١٠٣) فضلاً عن انها تعد اول محاولة لتأميم المنافع العامة في الوطن العربي (١٠٤)

ومما دل على ذلك ، اعلان مراقبون اجانب عن دهشتهم لمستوى الجودة الذي وصل اليه العمال المصريون ، فقد زار اقتصادي فرنسي مصر واعرب عن سعادته البالغة بعمال النسيج المصريين حيث وصفهم بامتيازهم بالتخصص والعمل الجاد والصبر [١٠٥]

وعلى الرغم من فشل تجربة محمد علي الصناعية بفعل عوامل داخلية وخارجية ، الا انها جعلت مصر الدولة العربية الاولى التي سعت من اجل تحديث صناعتها والارتقاء بها ومحاولة الاكتفاء الذاتي بالاعتماد على الصناعات المحلية دون الحاجة للمنتجات الاوربية .

الخاتمة

بناءً على ما تقدم ، وبعد استعراضنا لهذا البحث توصلنا الى مجموعة استنتاجات مثلت خاتمة البحث ونلخصها بالاتي :-

- مر التصنيع في عهد محمد علي بثلاث مراحل ، مثلت المرحلة الاولى للاعوام (١٨١٦-١٨١٨) وحصد فيها نتائج الاحتكار الذي بدأه بالمحافظة على الانتاج الصناعي وعلى طابعه الحرفي بسبب استمرار الحرفيين بمهنهم البدائية . اما المرحلة الثانية ، التي امتدت للاعوام (١٨١٨-١٨٣٠) واطلق عليها مرحلة الصناعة الكبرى ، واشتهرت فيها صناعة النسيج ومصانع التسليح وقام محمد علي باحتكار المواد الاولية وانشاء المصانع المعتمدة على البخار كمصدر لطاقتها ، في حين عرفت المرحلة الثالثة والتي بدأت عام ١٨٣٠ بمرحلة انهيار الاقتصاد المصري تحت وطأة التدخل الاجنبي ، اذ فتحت البلاد ابوابها للمنتجات الاجنبية وسرعان ماقلت قدرة الصناعة المحلية على مواجهة تلك المنافسة .
- كانت رغبة محمد علي لتطوير الصناعة في مصر هو لامداد الجيش والاسطول بحاجتهما من السلاح والعتاد والملابس والسفن وغيرها ، وكان يدرك قصور نظام الحرف عن الوفاء بحاجاته الجديدة ،لذا سعى لاقامة صناعة حديثة تلبي احتياجاته لاسيما وان الايدي العاملة متوفرة في مصر فضلاً عن قدرة الحكومة على تمويل المشروعات الصناعية الكبرى من ارباحها في عمليات التجارة ، اما ماعدا ذلك من عقبات فقد بذل اقصى ما في وسعه للتغلب عليها ، وكان يدرك ان مؤسساته الصناعية تكلفه كثيراً لاسباب مختلفة منها ، مايتعلق بقلة الاستعدادات لادارة الصناعة على وجهها الحديث ، ومنها مايتعلق باستحالة اتخاذ وسائل الحماية التي عرفتها الامم العاملة بالصناعة ، لكونه مقيداً بالرسوم الكمركية التي حددت وفق المعاهدات التجارية المعقودة بين الدولة العثمانية والدول الاوربية ، لذا لم يستطع فرض رسوماً عالية على الواردات الاجنبية لحماية منتجاته ، كما ان اهتمامه بالصناعة فتح ابواب مصر في عهده ومن بعده امام اعداد كبيرة نسبياً من العمال والفنيين الاوربيين .

- ان سوء الادارة في المصانع وعدم الاهتمام باعمال الصيانة فيها وانخفاض مستوى الكفاية الفنية عند عدد من العاملين وسوء حال العمال فيها وعدم رغبة الفنيين الاوربيين بتعليمهم حتى لايحلوا محلهم كان سبباً في فشل النهضة الصناعية .
- ان الاحتكار قلب طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع رأساً على عقب ، ففي العهد العثماني كانت الدولة قليلة التدخل في حياة الناس ، وفي ظل نظام الاحتكار تحول المجتمع المصري الى حياة تشبه حياة الجندية .
- لم تكن الظروف الموضوعية التي خلقها احتكار الانتاج الصناعي في صالح نظام الطوائف بل كانت ضربة قاصمة للطوائف شلت حركتها طيلة عهد محمد علي ، فقد دمر التدخل الحكومي روح الابتكار لدى الصناع هذا من جانب ومن جانب اخر لم يكن لدى الصناع حافز لزيادة الانتاج .
- بما ان الصناعات المختلفة التي قامت في مصر متوقفة على الجيش كون حاجات الشعب محدودة فلما قلص عدد الجيش وفق معاهدة لندن آل امرها الى الاضمحلال .
- لاشك ان محمد علي باشا هدف بذلك احداث انقلاب صناعي شامل ، يكمل اقتصاديات البلاد لإكساب الشعب المصري حرفة جديدة الى جانب حرفة الزراعة وتكون الصناعة زاوية من الزوايا الهامة التي يشاد عليها البناء الاقتصادي القومي ، الا انه بعد فشل تجربته الصناعية لم يحدث تطور صناعي كبير في مصر لسنوات عدة ولم تتحول مصر من مجتمع زراعي الى مجتمع صناعي .

الهوامش

١- احمد زكريا الشلق ، معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر ، الطبعة الاولى ، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع ، الدوحة . قطر ، ١٩٨٦، ص ٢٠-٢١.

٢- احمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص٢٢٠ .

٣- المصدر نفسه ، ص ٢٢٠-٢٢١.

٤- اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية ، ترجمة : زهير الشايب ، د.ن ، د.م ، د.ت ، ص ١٤.

٥- احمد علي مرسي ، موسوعة مصر الحديثة . المجتمع المصري ، المجلد التاسع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ت ، ص ٢٧.

٦- هو ياوز بن بايزيد (١٤٦٧-١٥٢٠) ، تاسع سلاطين بني عثمان ، قاد اعظم فتوحات العثمانيين في العالمين العربي والاسلامي . للمزيد ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، الجزء الثالث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص ٢٣٤.

٧- ادوارد وليم لاين ، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم (مصر مابين ١٨٣٣-١٨٣٥)، ترجمة : سهير دسوم ، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٣١٩.

٨- نبيل السيد الطوخي ، طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٤١-١٨٩٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص٢٩.

٩- ولد في فرنسا عام ١٧٩٣ واسمه الاصلي (انطون برطلمي)، جاء الى مصر عام ١٨٢٥ بناءً على طلب محمد علي باشا ليكون طبيباً خاصاً لجيشه ، وقام باصلاحات طبية عدة ليس للجيش فقط وانما لجميع ابناء الشعب المصري ، فاصبح من الشخصيات التي خلد ذكرها التاريخ المصري ، توفي في مرسيليا عام ١٨٦٨ للمزيد ينظر :-

جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، الجزء الثاني ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢ ، ص١٢-١٧.

١٠- كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة : محمد مسعود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١١ ، ص ٥٧٨ .

١١- صلاح احمد هريدي ، الحرف والصناعات في عهد محمد علي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥، ص١٥.

١٢- اندريه ريمون ، المصدر السابق ، ص ١٤-١٥.

١٣- عبد السلام عبد الحليم عامر ، طوائف الحرف في مصر ١٨٠٥-١٩١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٣، ص ١٤-١٥.

١٤- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص ١٨-١٩؛ رؤوف عباس حامد محمد ، الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩-١٩٥٢ ، د.ن،د.م ، ٢٠١٤ ، ص ١١.

١٥- نيلي حنا ، مصر العثمانية والتحولات العالمية ١٥٠٠-١٨٠٠، ترجمة : مجدي جرجيس ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٦ ، ص ١١٤.

١٦- وفاء كاظم ماضي الكندي ومها عدنان عبد الحسين المعموري ، ملامح من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر في العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨) ، مجلة العلوم الانسانية ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، المجلد ٣٤، العدد ٢، حزيران ٢٠١٧ ، (د.ص).

١٧- عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ مصر الاجتماعي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢٣٨.

١٨- سلوى العطار ، التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي ، دار النهضة العربية للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ ، ص ٢٣٠.

١٩- وفاء كاظم ماضي الكندي ومها عدنان عبد الحسين المعموري ، المصدر السابق ، (د. ص) .

٢٠- سلوى العطار ، المصدر السابق ، ص ٢٣١.

٢١- رؤوف عباس حامد محمد ، المصدر السابق ، ص ١٢.

٢٢- عبد الرحمن الجبرتي ، عجايب الاثار في التراجم والاخبار ، ج٣ ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ٢٠١٢، ص ٣٠٧ .

٢٣- نبيل السيد الطوخي ، المصدر السابق ، ص ١٧-١٨.

٢٤- عبد الرحمن الجبرتي ، عجايب الاثار في التراجم والاخبار ، ج٤ ، موسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ٢٠١٢ ، ص ١٣.

٢٥- عبد السلام عبد الحليم عامر ، المصدر السابق ، ص ١٥-١٦.

٢٦- نيلي حنا ، المصدر السابق ، ص ٤٩.

٢٧- احمد عزت عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص ٢٢٥-٢٢٦.

٢٨- فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي . دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص ٤٢٥.

٢٩- بن حسين السيوطي (١٧٥٥-١٨٢٢) ، زعيم مصري من اسرة شريفة النسب ، ولد بمدينة اسيوط ، ودرس بالجامع الازهر ، وعندما احتل الفرنسيين الاسكندرية عام ١٧٩٨وزحفوا الى القاهرة تقدم على راس اهالي القاهرة لمقاومتهم ، الا انه لم ينجح وخرج بعد دخولهم ، فسافر الى العريش ثم يافا بفلسطين ، وعاد الى القاهرة بعد مضي ثماني اشهر ، وكان في مقدمة ثوار ثورة القاهرة الثانية ، وبعد فشلها خرج مرة ثانية من مصر ولم يعد الا بعد رحيل الفرنسيين ، ساعد محمد علي باشا في ارتقاء منصب الولاية عام ١٨٠٥ وقد عارض سياسته الداخلية فنفاه الى دمياط عام ١٨٠٩ ، ثم نقل الى طنطا . للمزيد ينظر :- " الموسوعة العربية الميسرة "، اشراف : محمد شفيق غربال ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشعب ، القاهرة ، ٢٠٠١، ص ٢٢٩٤.

٣٠- ولد في قولة ، بمقدونيا ببلاد اليونان عام ١٧٦٩، والده ابراهيم اغا رئيس حرس الطرق ببلده ، وتوفي وهو صبي ، ادخله حاكم المدينة في الجندية ، بعدها احترف تجارة التبغ ، اشترك في معركة ابو قير البرية عام ١٧٩٩ ضد الفرنسيين في مصر ، ثم انتظم في كتيبة البانية ارسلت لمصر عام ١٨٠١ ، توفي عام ١٨٤٩. للمزيد ينظر : عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، الجزء السادس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص ٩٢-٩٣؛محمد صبري السوربوني ، الامبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية (١٨١١-١٨٤٩)، ترجمة : ناجي رمضان عطية ، الجزء الاول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣، ص ٥٨-٥٩.

٣١- للمزيد ينظر : نمير طه ياسين ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر ، عمان ، ٢٠١٠، ص ٧٤.

٣٢- جميل بيضون واخرون ، تاريخ العرب الحديث ، الطبعة الاولى ، دار الامل ، عمان ، ١٩٩٢، ص٨٢.

٣٣- Peter H.Bent , Agrarian Change and industrialization in Egypt 1800-1950 , Paris , 2015 , p.4 .

٣٤- نمير طه ياسين ، المصدر السابق، ص ٧٨.

٣٥- هنري دودويل ، الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي ، ترجمة : احمد محمد عبد الخالق ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٧، ص٢١٦.

٣٦- سعد الدين ابراهيم واخرون ، المجتمع والدولة في الوطن العربي ، الطبعة الثانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٦، ص١٢٤.

٣٧- سلوى العطار ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢.

٣٨- عبد الرحمن احمد عقل ، موسوعة مصر الحديثة . الصناعة ، المجلد الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ت ، ص١٠

٣٩- عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٢٣٩.

٤٠- نمير طه ياسين ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

٤١- عبد الكريم محمود غرايبة ، تاريخ العرب الحديث ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٤، ص ٧٩.

٤٢- عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، العلاقات الدولية بين اوربا والشرق ١٧٨٩-١٩١٩، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص٥٣.

٤٣- للمزيد ينظر : عمر الاسكندري وسليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص١٤٨.

٤٤- الياس الايوبي ، محمد علي سيرته واعماله واثاره ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٤، ص٨٤.

٤٥- منير غبور واحمد عثمان ، محمد علي باشا . عودة الذاكرة المصرية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠١١، ص ١٣٢-١٣٣؛نشأت الديهي ، محمد علي باشا . بدايات قاسية ومجد عظيم ، دار الجمهورية ، مصر ، ٢٠٠٩ ، ص ١٢٦ .

٤٦- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص ١٢٦-١٢٧.

٤٧- نمير طه ياسين ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

٤٨- جميل بيضون واخرون ، المصدر السابق ، ص ٨٥-٨٦.

٤٩- نمير طه ياسين ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

٥٠- نيلي حنا ، المصدر السابق ، ص ٥٠.

51- Mohamed Saleh , the Reluctant Transformation : State industrialization , Religion and human Capital in nineteenth century Egypt , N.P , 2014, P. 8 .

٥٢- نزيه نصيف الايوبي ، الدولة المركزية في مصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩، ص٨١.

٥٣- ريمون فلاور، مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر ، ترجمة : سيد احمد علي الناصري ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ١٠٢-١٠٣.

٥٤- جيلبرت سينويه ، الفرعون الاخير محمد علي ، ترجمة : عبد السلام المودني ، منشورات الجمل ، بيروت ، ١٢٢٠، ص٢٥٨.

٥٥- عبد السلام عبد الحليم عامر ، المصدر السابق ، ص٦٥.

٥٦- سلوى العطار ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣.

٥٧- المصدر نفسه ، ص ٢٣٤-٢٣٥.

٥٨- عبد الرحمن احمد عقل ، المصدر السابق ، ص ١٠-١١؛ امين سامي باشا ، تقويم النيل ، الجزء الثاني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٨، ص٥٨٤.

٥٩- للمزيد ينظر :محمد عبد الجواد الاصمعي ، قلعة محمد علي لاقلعة نابليون ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤، ص ٧٥-٧٨.

٦٠- سهير نبيل كمال ، سياسة محمد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها ١٨١٦-١٨٤٠،رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣، ص ١٧؛ علي شافعي بك ، اعمال المنافع العامة الكبرى في عهد محمد علي الكبير ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٠ ، ص٦٥.

٦١- جيلبرت سينويه ، المصدر السابق ، ص ٢٥٩.

٦٢- سلوى العطار ، المصدر السابق ، ص٢٤٧.

٦٣- جمال بدوي ، محمد علي واولاده ، مكتبة الاسرة ، د.م ، ١٩٩٩، ص٥٦.
٦٤- عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الاول وسعيد ، مطبعة صلاح الدين ، الاسكندرية ، ١٩٣٤ ، ص ١٠٢.
٦٥- المصدر نفسه ، ص ٤٧.
٦٦- عبد الرحمن احمد عقل ، المصدر السابق ، ص ١٢.
٦٧- عبد السلام عبد الحليم عامر ، المصدر السابق ، ص١٣٩.
٦٨- عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٢٣٩-٢٤٠.
٦٩- سلوى العطار ، المصدر السابق ، ص٢٤٤-٢٤٥.
٧٠- جي فارجيت ، محمد علي مؤسس مصر الحديثة ، ترجمة : محمد رفعت ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣، ص١١٧.
٧١- عبد الرحمن احمد عقل ، المصدر السابق ، ص ١٤.
٧٢- عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٢٤١.
٧٣- سلوى العطار ، المصدر السابق ، ص٢٤٩-٢٥٠.
٧٤- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص ١١٧.
٧٥- سلوى العطار ، المصدر السابق ، ص٢٥١.
٧٦- عبد الرحمن احمد عقل ، المصدر السابق ، ص ١٤.
٧٧- عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٢٤٠-٢٤١.
٧٨- احمد زكريا الشلق ، المصدر السابق ، ص ٦٣-٦٤.
٧٩- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧-٢٦٨.
٨٠- عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، المصدر السابق ، ص ٥٤.
٨١- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص ١٢٨.
٨٢- سلوى العطار ، المصدر السابق ، ص٢٥١-٢٥٢.
٨٣- جيلبرت سينويه ،المصدر السابق ، ص ٢٥٩.
84- Arthur Goldschmidt JR., Abrief History of Egypt , New York , 2008, P. 68.
٨٥- عبد الرحمن احمد عقل ، المصدر السابق ، ص ١١.
٨٦- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص ١٣٥-١٣٦.
٨٧- وهو عباس حلمي بن طوسون بن محمد علي ، وخلف عمه ابراهيم باشا في الحكم عام ١٨٤٨ ، عد عهده عهد رجعية اذ اوقف اصلاحات جده ، قتل بقصره في بنها في الرابع عشر من تموز ١٨٥٤.للمزيد ينظر :- احمد عطية الله ، القاموس السياسي ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨، ص ٧٧٢.
٨٨- عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٩، ص ٥٠٨.
٨٩- جي فارجيت ،المصدر السابق ، ص ١١٨.
90- Joel Beinin , Formation of the Egyptian Working class , Middle East research information project , London , 1981 , P. 14 .
٩١- صلاح احمد هريدي ، المصدر السابق ، ص ١٢٢.

٩٢- للمزيد من التفاصيل عن المعاهدة ينظر : سليمان الغنام ، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية ، المركزالثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ٢٠٠٤ ، ص ١٨٥-١٨٧ .

٩٣- احمد زكريا الشلق ، المصدر السابق ، ص ٦٤.

٩٤- نينلالكسندروفنا دولينا ، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات واربعينيات القرن التاسع عشر ، ترجمة : انور محمد ابراهيم ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، ٢٠٠٢، ص ٩٦.

٩٥- خيري ابو العزايم فرجاني ، ملامح تطور الاقتصاد المصري في ظل التحولات السياسية والاقتصادية ، د.ن،د.م،د.ت، ص ٢٠.

٩٦- احمد عزت عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص ٢٥١.

٩٧- عبد الكريم محمود غرايبة ، المصدر السابق ، ص ٨٦.

٩٨- احمد عزت عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢.

٩٩- محمد مورو ، تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية الى ثورة ١٩٥٢،د.ن، د.م،د.ت، ص٢٠٦.

١٠٠-احمد عزت عبد الكريم ، المصدر السابق ، ص ٢٥١.

١٠١-خيري ابو العزايم فرجاني ، المصدر السابق ، ص ٩.

١٠٢-عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص٢٤٣.

١٠٣-محمد صبري ، تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦، ص٥٣.

١٠٤-فيليب حتي واخرون ، تاريخ العرب ، الطبعة الثانية عشر ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٧، ص ٨٢١.

١٠٥-جي فارجيت ، المصدر السابق ، ص ١١٨.

المصادر

اولاً : الكتب الوثائقية .

١- امين سامي باشا ، تقويم النيل ، الجزء الثاني ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٨.

٢- عبد الرحمن الجبرتي ، عجايب الاثار في التراجم والاخبار ، ج٣ ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ، ٢٠١٢.

٣- عبد الرحمن الجبرتي ، عجايب الاثار في التراجم والاخبار ، ج٤ ، موسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مصر ٢٠١٢.

٤- علي شافعي بك ، اعمال المنافع العامة الكبرى في عهد محمد علي الكبير ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٠ .

٥- فاضل بيات ، الدولة العثمانية في المجال العربي . دراسة تاريخية في الاوضاع الادارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٧.

ثانيا : المذكرات الشخصية .

١- عمر طوسون ، البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الاول وسعيد ، مطبعة صلاح الدين ، الاسكندرية ، ١٩٣٤.
٢- كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، ترجمة : محمد مسعود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١١.

ثالثا : الرسائل الجامعية .

١- سهير نبيل كمال ، سياسة محمد علي باشا والي مصر تجاه العراق والخليج العربي وموقف بريطانيا والدولة العثمانية منها ١٨١٦-١٨٤٠،رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣.

رابعا : الموسوعات .

١- احمد عطية الله ، القاموس السياسي ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨.
٢- احمد علي مرسي ، موسوعة مصر الحديثة . المجتمع المصري ، المجلد التاسع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ت.
٣- عبد الرحمن احمد عقل ، موسوعة مصر الحديثة . الصناعة ، المجلد الخامس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ت.
٤- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، الجزء الثالث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت .
٥- عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، الجزء السادس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، د.ت.
٦- " الموسوعة العربية الميسرة "، اشراف : محمد شفيق غربال ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الشعب ، القاهرة ، ٢٠٠١.

خامسا : الكتب

١-الكتب العربية والمعربة .

١- احمد زكريا الشلق ، معالم التاريخ المصري الحديث والمعاصر ، الطبعة الاولى ، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع ، الدوحة . قطر ، ١٩٨٦.
٢- احمد عزت عبد الكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ .
٣- ادوارد وليم لاين ، عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم (مصر مابين ١٨٣٣-١٨٣٥)، ترجمة : سهير دسوم ، الطبعة الثانية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٩.

٤- الياس الايوبي ، محمد علي سيرته واعماله واثاره ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٤.

٥- اندريه ريمون ، فصول من التاريخ الاجتماعي للقاهرة العثمانية ، ترجمة : زهير الشايب ، د.ن ، د.م ، د.ت.

٦- جرجي زيدان ، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ، الجزء الثاني ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢.

٧- جمال بدوي ، محمد علي واولاده ، مكتبة الاسرة ، د.م ، ١٩٩٩.

٨- جميل بيضون واخرون ، تاريخ العرب الحديث ، الطبعة الاولى ، دار الامل ، عمان ، ١٩٩٢.

٩- جي فارجيت ، محمد علي مؤسس مصر الحديثة ، ترجمة : محمد رفعت ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٣.

١٠- جيلبرتسينويه ، الفرعون الاخير محمد علي ، ترجمة : عبد السلام المودني ، منشورات الجمل ، بيروت ، ١٢٢٠.

١١- خيري ابو العزايم فرجاني ، ملامح تطور الاقتصاد المصري في ظل التحولات السياسية والاقتصادية ، د.ن،د.م،د.ت.

١٢- رؤوف عباس حامد محمد ، الحركة العمالية في مصر ١٨٩٩-١٩٥٢ ، د.ن،د.م ، ٢٠١٤ .

١٣- ريمون فلاور، مصر من قدوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر ، ترجمة : سيد احمد علي الناصري ، المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٠.

١٤- سعد الدين ابراهيم واخرون ، المجتمع والدولة في الوطن العربي ، الطبعة الثانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٦.

١٥- سلوى العطار ، التغيرات الاجتماعية في عهد محمد علي ، دار النهضة العربية للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

١٦- سليمان الغنام ، قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسعية ، المركزالثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ٢٠٠٤.

١٧- صلاح احمد هريدي ، الحرف والصناعات في عهد محمد علي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥.

١٨- عبد الحكيم عبد الغني قاسم ، العلاقات الدولية بين اوربا والشرق ١٧٨٩-١٩١٩، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٩.

١٩- عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٩.

٢٠- عبد السلام عبد الحليم عامر ، طوائف الحرف في مصر ١٨٠٥-١٩١٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، ١٩٩٣.
٢١- عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ مصر الاجتماعي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت.
٢٢- عبد الكريم محمود غرايبة ، تاريخ العرب الحديث ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٤
٢٣- عمر الاسكندري وسليم حسن ، تاريخ مصر من الفتح العثماني الى قبيل الوقت الحاضر ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦.
٢٤- فيليب حتي واخرون ، تاريخ العرب ، الطبعة الثانية عشر ، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٧.
٢٥- محمد صبري ، تاريخ مصر من محمد علي الى العصر الحديث ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ١٩٩٦.
٢٦- محمد صبري السوربوني ، الامبراطورية المصرية في عهد محمد علي والمسألة الشرقية (١٨١١-١٨٤٩)، ترجمة : ناجي رمضان عطية ، الجزء الاول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣.
٢٧- محمد عبد الجواد الاصمعي ، قلعة محمد علي لاقلعة نابليون ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٤.
٢٨- محمد مورو ، تاريخ مصر الحديث من الحملة الفرنسية الى ثورة ١٩٥٢،د.ن، د.م،د.ت.
٢٩- منير غبور واحمد عثمان ، محمد علي باشا . عودة الذاكرة المصرية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠١١.
٣٠- نبيل السيد الطوخي ، طوائف الحرف في مدينة القاهرةفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر ١٨٤١-١٨٩٠ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩.
٣١- نزيه نصيف الايوبي ، الدولة المركزية في مصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩.
٣٢- نشأت الديهي ، محمد علي باشا . بدايات قاسية ومجد عظيم ، دار الجمهورية ، مصر ، ٢٠٠٩.
٣٣- نمير طه ياسين ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، الطبعة الاولى ، دار الفكر ، عمان ، ٢٠١٠.
٣٤- نيلي حنا ، مصر العثمانية والتحولات العالمية ١٥٠٠-١٨٠٠، ترجمة : مجدي جرجيس ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٦.

٣٥- نينلالكسندروفنا دولينا ، الامبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في ثلاثينيات واربعينيات القرن التاسع عشر ، ترجمة : انور محمد ابراهيم ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ، القاهرة ، ٢٠٠٢.

٣٦- هنري دودويل ، الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي ، ترجمة : احمد محمد عبد الخالق ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠٠٧.

٢- الكتب باللغة الانكليزية .

- Arthur Goldschmidt JR., A brief History of Egypt , New York , 2008, P. 68-

1- -Joel Beinin , Formation of the Egyptian Working class , Middle East research information project , London , 1981 .

106- -Mohamed Saleh , the Reluctant Transformation : State industrialization , Religion and human Capital in nineteenth century Egypt , N.P , 2014.

Peter H. Bent , Agrarian Change and industrialization in Egypt 1800-1950 , Paris , 2015.-

سادسا : البحوث المنشورة .

١- وفاء كاظم ماضي الكندي ومها عدنان عبد الحسين المعموري ، ملامح من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر في العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨) ، مجلة العلوم الانسانية ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، المجلد ٣٤، العدد ٢، حزيران ٢٠١٧.